المبحث الثاني

الصورة الحسية

يمتلك مسلم القدرة على الصياغة الشعرية ورسم الصور الفنية التي تخلق الاستجابة في ذات المتلقي. ويلجأ الشاعر إلى التصوير الحسي ليضفي على الصورة طابع الحسية والمشاهدة، فتبدو الصورة قريبة للعيان لأن (أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا)[١]،والشاعر يصور الموضوعات المخزونة في ذهنه والتي استقاها من تجاربه تصويرا حسيا، فتكتسب صوره بعدا جماليا خاصا، لأن الصورة (تكون فنية حين تجمع بين المحسوس والمعقول)[٢].

وترد الصورة حسب المدركات الحسية وهي البصرية، والشمية، والسمعية، واللمسية، والذوقية[٣].

---

(١) العمدة ٢/٢٩٥

(٢) المجمل في فلسفة الفن ص ٤٢.

(٣) يذهب بعض الباحثين إلى تعقيد الصورة الحسية حينما يضعها على طاولة التشريح ليستخرج منها أنماطا أصغر، مثل تقسيم الصور البصرية إلى لونية وضوئية ومساحية وصورة المسافة وما إلى ذلك من التقسيمات التي لا نجد جدوى من ورائها سوى التعقيد واللهاث وراء التفريعات التي لا تقدم نفعا للصورة أو المتلقي، ولا ندري ربما يلجأ باحث آخر إلى تقسيم الصورة اللونية مثلا حسب الألوان فنرى الصورة البيضاء والحمراء والصفراء، أو يجعل لصورة المسافة قياسات حسب الأمتار والمقاييس الرياضية الأخرى. وذهب الدكتور الرباعي إلى ضم الصورة الحسية تحت نمط أعم هو النمط النفسي الذي شمل إلى جانب الصورة الحسية الصورة العقلية، ولا نرى في هذا التقسيم ما يدعونا لاتباعه أو السكوت عنه، لأن الباحث لم يبين لماذا خص هاتين الصورتين بالنمط النفسي، وما الذي منعه من ضم الصور الأخرى كالبلاغية والتقريرية مثلا تحت هذا النمط. ثم أن اطلاق تسمية النمط الفني على أحد مباحث دراسة الدكتور الرباعي يعني إيمانه بوجود صورة فنية وأخرى غير فنية. ولا يمكننا أن نقر بهذا التقسيم لأننا نرى أن كل أنماط الصورة تنضوي تحت الدلالة الفنية – ينظر الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس د. وحيد صبحي كبابة ص ٩١، والصورة الفنية في شعر ابي تمام ص ٢١٧ وما بعدها.

الصورة البصرية:

يتجه الشاعر إلى خلق صورة بصرية تحرك خيال المتلقي ليرى من خلالها صورة أخرى، يسعى الشاعر إلى إيصالها إلى ذهن المتلقي. كما في قوله:

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مرتحل [١] (البسيط)

الصورة الأولى التي نراها بأم أعيننا هي أسراب الطيور التي تتبع جيش الممدوح، تعادلها في الخيال صورة أخرى تعبر عن انتصار جيش الممدوح من خلال جثث القتلى التي أصبحت موائد للطيور الجائعة. وقوله:(الطويل)

جعلنا علامات المودة بيننا مصايد لحظ هن أخفى من السحر [٢]

فحركة طرفه تقابلها المودة والوصل أو الهجر والبعد. وفي قوله:(البسيط)

كأنه شلو كبش والهواء له تنور شاوية والجذع سفود [٣]

صورة بصرية جميلة جدا، إذ رسم للمصلوب صورة في خيالنا حين جعل منه كبشا مقيدا على جذع ويشوى بتنور.

ويذكر الألوان في صوره كقوله:- (الكامل)

وبوارق الاغماد تبدو تارة حمرا وتخفى تارة في الارؤس [٤]

فالسيوف عندما تبدو وقد احمرت بدماء الأعداء، نبصر من خلالها وبعين الخيال صورة أشلاء العدو الممزقة في أرض المعركة.

ويبدو أن للألوان دلالات محددة عند مسلم، فقد استخدم في صوره ألوانا أخرى كاللون الأبيض، والأسود، والأصفر [٥]، عبر من خلالها عن أحاسيسه وانفعالاته،

(١) شرح ديوانه ص ١٢.
(٢) م. ن ص ١٠٥
(٣) م.ن ص ٣١٠، السفود: كتنور الحديدة التي يشوي بها، الشلو:المسلوخ
(٤) م.ن ص ١٣٥.
(٥) ينظر م. ن ص ٤٩، ٢٧٠، ٢٥٣، ٢٣٨، ٢٢٧، ١٣١.

واحتلت الصورة البصرية المرتبة الأولى قياسا إلى الحواس الأخرى، إذ وظفها في عدة أغراض كالمديح، والهجاء والغزل، والوصف.(١)

الصورة السمعية:

يرى علماء النفس أن حاستي البصر والسمع يفضلان على الحواس الأخرى من حيث قيمتهما العقلية والثقافية (٢)،ولأهميتهما ورد ذكرهما في القرآن الكريم في آية واحدة، قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٣). وتأتي الصورة السمعية بعد الصورة البصرية من حيث القيمة الجمالية، لأن الحواس التي تدرك عن بعد، لها (ميزة السبق والتوقع والتبصر، غير أن حاسة السمع أقلها مادية وأقواها استخداما للرموز والإشارات العقلية، وهي من رموز أكثر تحررا من الماد ة وأشمل دلالة من الرموز اللغوية التي يصطنعها التعبير اللفظي)(٤) والصورة السمعية تعتمد الصلة التي تنشأ بينها وبين الخيال لأنها تعتمد على تصور الأصوات وإيقاعها وفعلها في النفس، مثل قوله:(الطويل)

وأسعدها المزمار يشدو كأنه حكى نائحات بتن يبكين من ثكل (٥)

إن الأثر النفسي لهذه الصورة السمعية بما تحمله من شدو وحنين حرك أذن الخيال إلى سماع بكاء النائحات على فقد أحبابهن.

ويبدو أنه يستخدم الأصوات على وفق دلالاتها الحسية، كقوله: (مجزوء الرجز)

من فوقهم أطيار صياحها تغريد (٦)

(١) ينظر م. ن ص٢٦٩،٢٠٦،١٥٩،٩٨، ٣٠٣،٢٩٨،٢٩١، ٣٤٦،٣٣٧،٣٢٦،٣٢١.
(٢) ينظر مبادئ علم النفس العام –يوسف مراد ص ٦٧.
(٣) سورة المؤمنون – آية ٧٨.
(٤) مبادئ علم النفس العام ص٦٧.
(٥) شرح ديوانه ص٤١.
(٦)م.ن ص١٩٨.

إلا أن أذنه لا تصغي لكل صوت لأن حواسه وأفكاره تميز بينها فيقول: (البسيط)

ما كل عاذلة تصغي لها أذني وقد سمعت على الإكراه فانطلقي[1]

الصورة الشمية:

حاسة الشم من الحواس التي (تمكن الإنسان من أن يستبدل بالأشياء مايشير إليها من أمارات وعلامات)[2]،وبإمكان الصورة الشمية التأثير بفعلها إذا كان جسمها غائبا، لأنها صورة منتشرة [3]، لذلك اقترنت صوره الشمية بالطيب والثناء الجميل للممدوح أو المرثي، مثل قوله:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

عندما ثنى على المرثي عطر الصورة بطيب تراب قبره، ولا يخفى ما لهذه الصورة من أمارات وعلامات حسنة أراد أن يصف بها المرثي، ومثل هذه الصورة تدعو السامع إلى السكوت للتمتع بها.

ولثناء الممدوح رائحة كعرف الطيب:(الطويل)

ثناء كعرف الطيب يهدى لأهله وليس له إلا بني " خالد" أهل [5]

الصورة اللمسية:

يقسم علماء النفس هذه الحاسة إلى أربعة إحساسات رئيسية هي: الإحساس بالتماس والضغط، والإحساس بالألم، والإحساس بالبرودة، والإحساس بالسخونة [1].

---

(١) م. ن ص ٣٢٩
(٢) مبادئ علم النفس العام ص٦٣.
(٣) ينظر الصورة الفنية في شعر الطائيين ص ١٢٧.
(٤) شرح ديوانه ص٣٢٠.
(٥) م. ن ص ٣٣٣ وينظر ص ١٩٢

ولم يكن لهذه الصور الكثرة في ديوان مسلم، فقد رسم ملامح صوره اللمسية من خلال الليونة والخشونة، كقوله:(الوافر)

وجلـــدي لـــو يـــدب عليـــه ذر لأدمـــى الـــذر جلـــدي بالـــدبيب (٢)

وقوله:

الجـود أخشـن مسـا يـا بنـي (مطـر) مـــن أن تبـــز كمـــوه كـــف مســـتلب

الصورة الذوقية:

حاسة الذوق قائمة على التماس المباشر، لأنها لا تنفعل إلا إذا وضع الجسم على اللسان (٤).

والصورة الذوقية تثير خيال المتلقي، فيتذوق من خلالها الطعم الذي رسمه الشاعر، كقوله:(الوافر)

أريقـــا مـــن رضـــابك أم رحيقـــا رشـفت فكنـت مـن سـكري مفيقـا (٥)

ويشير في صوره الذوقية إلى المادة المتذوقة من ريق فتاته وهي الشهد:- (الوافر)

وريقـــي مـــاء غاديـــة بشهـــد فمـا أشـهى مـن الشـهد المشـوب (٦)

والظاهرة التي تبدو أكثر بروزا في صوره الحسية هي ميله إلى تكثيف الصورة من خلال تآزر عدد من الحواس في تشكيلها، مما يعطي الصورة زخما إضافيا، وبعدا خياليا أكثر مما تمثله حاسة واحدة، فتصبح الصورة مفعمة بالانفعال،

---

(١) مبادئ علم النفس العام – ص ٦١.
(٢) شرح ديوانه ص١٩٢، الذر بالفتح: صغار النمل، وهو كذلك الهباء المنبث في الهواء.
(٣) م ن ص ٣٠٥.
(٤) ينظر مبادئ علم النفس العام ص٦٣.
(٥) شرح ديوانه ص٣٢٨.
(٦) م. ن ص١٩٢، الغادية: السحابة تأتي في الغداة.

لأن (إشراك أكبر عدد ممكن من الحواس في تمثيل الصورة هو فعل من أفعال الخيال الناجحة)[١].

فقد تأتي الصورة سمعية وبصرية كقوله: (الطويل)

كـــأن ظبـــاء عكفـــا فـــي رياضـــها أباريقهـــا أوجســـن قعقعـــة النبـــل [٢]

وتتآزر الصورة الشمية والصورة الذوقية لتصوير ثناء الممدوح: (الكامل)

يلقـــاك منـــه ثنـــاؤه وعطـــاؤه بـــذكاء رائحـــة وطيـــب مـــذاق [٣]

ويجمع بين الصورة الذوقية والصورة البصرية ليرسم صورة البخيل الذي يمني زواره بالمواعيد الباطلة:(الطويل)

لسانك أحلى من جنى النحل موعدا وكفـك بـالمعروف أضـيق مـن قفـل[٤]

وتتحد أكثر من حاسة لرسم صورة يريد الشاعر من ورائها أن يعبر عن معنى آخر من خلال صورة أخرى ترتسم في مخيلة المتلقي، كصورة الممدوح الذي لازم السلاح تأهبا للحرب من خلال حاستي الشم والبصر: (البسيط)

لا يعبـــق الطيـــب خديـــه ومفرقـــه ولا يمســـح عينيـــه مـــن الكحـــل [٥]

وصور فتاته المتنعمة من خلال حاستي السمع والشم: (الطويل)

إذا ما مشت خافت نميمة حليهـا تداري على المشي الخلاخيل والعطرا[٦]

وتتشكل صوره أحيانا من ثلاث حواس، كاتحاد حاسة الشم واللمس والبصر في قوله:

أزكـى مـن المسـك أنفاسـا وبهجتهـا أرق ديباجة من رقة النفس [١](البسيط)

---

(١) مقالات في الشعر الجاهلي – يوسف اليوسف ص ٣٠٧.
(٢) شرح ديوانه ص ٣٩
(٣) م.ن ص٣٢٩.
(٤) شرح ديوانه ص ٣٣٧.
(٥) م. ن ص ١٣
(٦) م. ن ص ٤٥.

أو حاسة البصر مع الذوق والشم: (مجزوء الرجز)

وثغرهـــــــا شـــــــتيت وريقهـــــــا بـــــــرود

كـــــأن فيـــــه مســـــكا خالطـــــه قنديـــــد (٢)

تراسل الحواس:

ويعتمد مسلم في تشكيل بعض صوره الحسية على تبادل المدركات أو ما يسمى بتراسل الحواس، الذي يتم من خلال وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة أخرى، فتوصف المرئيات مثلا بأوصاف المسموعات أو توصف المشمومات بصفات المسموعات (٣)،كأن يكون للعيون ملمس ناعم وللحبرة طعم (٤). وعن طريق هذا التبادل يتم خلق علاقات جديدة بين مفردات اللغة لم تكن موجودة من قبل، فتكتسب الصورة المتولدة بعدا جماليا في مخيلة المتلقي من خلال رؤية (التماثل في اللاتماثل)(٥).

ولجأ مسلم إلى هذا اللون من التصوير فنراه يصف مدركات بعض الحواس بمدركات حاسة أخرى، مثل قوله: (الطويل)

أتتنـــا هـــدايا منـــه أشـــبهن ريحـــه وأشبه في الحسن الغزال المكحلا (٦)

في هذه الصورة تبادلت الحواس مواقعها، لأن الهدايا تدرك بحاسة البصر، إلا أن الشاعر شبه الهدايا بريح صاحبها. وقوله: (الطويل)

وبتنـــا علـــى رغـــم الحســـود وبيننـــا حديث كريح المسك شيب به الخمر (٧)

---

(١) م. ن ص٣٢٥.
(٢) م. ن ص ١٩٥
(٣) ينظر النقد الأدبي الحديث ص٤١٨، والصورة الفنية في شعر الطائيين ١٣٧.
(٤) ينظر شرح ديوانه ص٢٤٧، ٢٥٣، الحبرة: السرور والنعمة.
(٥) الشعر والتجربة – أرشيبالد مكليش – ترجمة سلمى الخضراء ص ٨١.
(٦) شرح ديوانه ص٣٣٦
(٧) م. ن ص ٣١٧ وينظر ص ٣٤٤،٢٦١،٥.

الحديث يدرك بالسمع، إلا أنه أضفى عليه صفة حاسة الشم والذوق، فأصبح

وطعم.

أو يضفي على الصورة السمعية صفة بصرية:-(الكامل)

وحديث سحار الحديث كأنه در تحدر من نظام الثاقب (١)

شبه الحديث – الذي يدرك بحاسة السمع – بالدر الذي يدرك بالبصر. وفي صورة أخرى ينعت المسموع مذوقا فيقول:

كأن (نعم) في فيه يجري مكانها سلالة ما مجت لأفراخها النحل (٢)

إن شعوره تجاه الممدوح جعله يتذوق كلام الممدوح بهذه الصورة التي رسمها إلينا.

الصورة التجريدية:

ترتبط الصورة التجريدية بالمعاني الذهنية العقلية، كأن يعمد الشاعر إلى التشبيه المباشر، وتضعف الصورة عندما تكون عقلية برهانية، لأن الاحتجاج أقرب إلى التجريد من التصوير الحسي الذي هو طبيعة الشعر التي تعود إلى أصول حسية، لذلك فإن هذه الصورة لا تصل إلى مستوى الصورة الحسية في إثارة المتلقي (٣)، لأن (العلم الأول أتى النفس أولا عن طريق الحواس والطباع، ثم من جهة النظر والروية، فهو إذن أمس بها رحما، وأقوى لديها ذمما)(٤). لذلك فإنه من المحمود (أن تمثل الصورة – حسيا – فكرة أو عاطفة، ولو كان هذا التمثيل لأحاسيس تجريدية)(٥)

ويلجأ الشاعر إلى عقد مماثلة بين معنيين نحو قوله: (البسيط)

---

(١) م.ن ص ١٨٧، وينظر ص٣١٧، النظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ونحوه.
(٢) شرح ديوانه ص ٢٦٣
(٣) ينظر الصورة البلاغية عند عبدالقاهر ص ٢٩٥، والصورة الفنية في شعر أبي تمام ١٩٧.
(٤) أسرار البلاغة ص١٠٩
(٥) النقد الأدبي الحديث ص ٤١٧.

تجـري محبتهـا فـي قلـب عاشقهـا جري السلامة في أعضاء منتكس (١)

عقد مماثلة بين جري المحبة في قلبه وهو معنى عقلي وبين جري السلامة في أعضاء المنتكس، وهذا معنى عقلي لا يدرك بالحواس.

أو تشبيه محسوس بمعنى:(البسيط)

مـوف علـى مهـج فـي يـوم ذي رهـج كأنـــه أجـــل يســـعى إلـــى أمـــل (٢)

شبه الممدوح بمعنى عقلي لا تدركه الحواس وهو الأجل، ومعلوم أن مثل هذه الصورة تضفي على المعنى تفخيما وتعظيما.

أو يلجـأ إلـى تشـبيه المجـرد بالمحسـوس، ونمـاذج هـذا التصـوير متـوافرة فـي ديوانه، إذ إن الإنسان يأنس إلى الأشياء المحسوسة التي يدركها بحواسه، لأن (أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي الى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس)(٣) كقول مسلم: (البسيط)

يقــري المنيـــة أرواح الكمـــاة كمـــا يقري الضيوف شحوم الكوم والبزل (٤)

في الصورة الأولى ورد تشبيه إقراء المذية أرواح الكماة و هو معنى عقلي، شبهه في الصورة الثانية بإقراء الضيوف شحوم الكوم البزل، و هو يدرك بإحدى الحواس، ولا يخفى أنه أراد تصوير شجاعة الممدوح فعمد إلى الصورة الحسية.

الصورة التقريرية:

(١) شرح ديوانه ص٣٢٥، وينظر ص٢٣٣.
(٢) م. ن ص٩، وينظر ص ٢٢٣، ٣٢٩.
(٣) أسرار البلاغة ص ١٠٨
(٤) شرح ديوانه ص١١، وينظر ص٦٣، ٦٥، ١٤٩،١٥٩، ٣٢٩.

إن قوة الصورة البلاغية لا تلغي القدرة التعبيرية المؤثرة للأساليب التقريرية المباشرة، لأن الصورة (لا تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير دالة على خيال خصب) [١].

والصورة التقريرية تنقل مشهدا حيا يعبر عن تجربة إنسانية عاشها الشاعر في مخيلته وأراد إيصالها إلى المتلقي، معتمدا في صياغتها على الألفاظ والعبارات الحقيقية، لأن (ميدان اللغة ميدان واسع ومرن تماما بحيث يكون الكاتب حرا ..... للدرجة التي يتطلبها إحساسه)[٢].وتتحدد قيمة الصورة التقريرية بما يسبغه الشاعر عليها من عاطفة وخيال وحركة فتكتسب خصوبتها وحيويتها، لأن (التعبير المناسب إذا كان مناسبا، كان جميلا كذلك، لأن الجمال ليس إلا القيمة المحددة للتعبير وبالتالي للصورة)[٣].

ونجد في ديوان مسلم بعض الصور الجميلة الموحية التي استطاعت أن تصور مشاعره وأحاسيسه من خلال رسم صورة جميلة أراد ان ينقلها إلى المتلقي، إذ يقول:

وإنـي لأخلـو مـذ فقـدتك دائبـا فـأنقش تمثـالا لوجهـك فـي التـرب

فأسـقيه مـن عينـي وأشـكو تضـرعا إليـه بمـا ألقـاه مـن شـدة الكـرب [٤]

نرى مسلما هنا لم يكتف بالبكاء والنحيب أثر فقده الحبيبة وأنما، راح يرسم صورة موحية معبرة وجميلة جدا تبعث على الخيال والتأمل لتصويره الجوانب الدقيقة التي أعطت الصورة كمالها، ومنحتها القدرة على التعبير والتأثير في نفس متلقيها، لأنها تكاد تكون حية ناطقة بما تحمله من مشاعر وعواطف. فقد تركته الحبيبة وراح يخلو وحده ويرسم تمثالا لوجهها في التراب ويشكو إليه فجيعته

(١) النقد الأدبي الحديث ص ٤٥٧

(٢) اللغة في الأدب الحديث (الحداثة والتجريب) جاكوب كورك ترجمة ليون يوسف، وعزيز عمانوئيل ص٩٢.

(٣) المجمل في فلسفة الفن ص ٦٥.

(٤) شرح ديوانه ص٢٨٨ وينظر ص٢٧٦،١٣،١٢.

وماخلفه الفراق، فهذه الصورة بما تحمل من طاقات وانفعالات لها القدرة على إثارة مخيلة المتلقي لتصور الحدث أو المشهد الذي أراد الشاعر أن يعبر عنه.

الصورة المضطربة:

أشرنا في موضع سابق إلى أهمية الصورة الشعرية، كونها تعد من أبرز الأدوات الشعرية التي يستخدمها الشاعر للتعبير عن رؤيته أو إيصال تجربته الشعرية إلى المتلقي، فهي جزء من بناء عضوي ولها دور مهم في هذا البناء؛ ونتيجة لهذه العضوية المهمة للصورة في القصيدة، يجب أن تكون متماسكة وغير مضطربة، ويكون اضطراب الصورة الشعرية (إذا تنافرت اجزاؤها في داخلها أو تنافرت مع الفكرة العامة أو الشعور السائد في التجربة نفسها)[١]. ويرى دي لويس أن عدم التجانس بين الصور والغموض الذي يشوبها نتيجة لانتقال الشاعر فيها من صورة إلى أخرى أو من فكرة الى صورة يؤدي الى الاضطراب[٢].

ويعبر الشاعر عن صدق إحساسه في تجربته من خلال توظيف الصور المعبرة عن ذاته، أو التي تتلاءم والفكرة التي يعرضها؛ لكن انسياق الشاعر وراء بلاغة الألفاظ ومحاولة رص الصور في القصيدة وحشدها أو تجريدها من أي شعور، والابتعاد عن التعبير الصادق، يؤدي إلى تضارب الصور وضعفها داخل القصيدة الواحدة.

ونحن نتتبع أنماط الصورة عند مسلم يجب أن نتحرى عن الصور التي لم يكن لها من الإبداع ما كان لغيرها، أو التي لم يوفق فيها الشاعر، كقوله:(الكامل)

قبل أناملـه فلسن أناملا لكنهن مفاتح الأرزاق [٣]

إن الذي جعل الصورة مضطربة هو منافاتها الحقيقة، والآداب والمفاهيم الإسلامية، لأنه جعل أنامل الممدوح مفاتح الأرزاق، ولا يمكن أن يكون ثناء الممدوح

(١) النقد الأدبي الحديث ص ٤٤٧.
(٢) ينظر الصورة الشعرية ص ١٣٧ وما بعدها.
(٣) شرح ديوانه ص ٣٢٩.

وكرمه مفاتح الأرزاق، لأن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق ويقول في محكم كتابه العزيز ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾[2]. وكان باستطاعة الشاعر أن يستبدل هذه الصورة بصورة أخرى لا تنافي الحقائق والآداب الإسلامية.

وفي صورة أخرى يقول: (البسيط)

أظلهم منك رعب واقف بهم حتى يوافق فيهم رأيك القدر

أمضى من الموت يعفو عند قدرته وليس للموت عفو حين يقتدر [3]

إن هذه الصورة كسابقتها منافية للحقيقة والتعاليم الإسلامية، لأن الممدوح مهما كانت شجاعته وقوة بأسه وإيمانه بالمبادئ الإسلامية التي دفعته إلى محاربة الكفر، لا يتمكن من التحكم بالقدر الذي قضاه الخالق سبحانه وتعالى، إذ يقول في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[4] ويقول جل جلاله ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾[5]. والغريب أن مسلما انتقد هذه المبالغة في شعر أبي نواس، ووصفه بأنه يتخطى صفة المخلوق إلى صفة الخالق[6]. وأحيانا يرسم صورا جميلة، لكنه يحاول أن يوسعها فيرسم صورة أو صورا أخرى ما هي إلا تفرع عن الأولى، كقوله:

كم طعنة لك في الأعداء مهلكة نجلاء تعجلهم عن نفث راقيها

لما غدوت إلى الأعداء مطلعا غير الجبان عليها لا تباليها

(١) سورة الذاريات – آية ٥٨
(٢) سورة سبأ – آية ٢٤.
(٣) شرح ديوانه ص ٢٥٤ وينظر ص٢٥١.
(٤) سورة الطلاق آية ٣.
(٥) سورة الواقعة – آية ٦٠.
(٦) ينظر ص٢٦ من الفصل الأول.

قسمت فيها منايا غير مبقية وقمت عند نفوس الحق تحييها [1]

يصف ترزي هذه الصورة بأنها رائعة، وكان من الممكن أن يقتنع بها مسلم غير أن ولعه بالصور جعله يردف هذا البيت ببيتين آخرين، مما جعل الصورة تضطرب[2]، لأن هذا الإسهاب أخل بالصورة، إذ إن المعنى المقصود يتضح من البيت الأول فلم يكن هناك داع لأن يفصل في البيتين الآخرين.

وأما قوله:-(الكامل)

سلت فسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا [3]

فالإمعان في التصنيع والخروج عن الطبع جعل الصورة تفقد جمالها، مما حدا بأبي نواس أن يقول له (والله لو رميت الناس في الطرق لكان أحسن من هذا)[4]

(١) شرح ديوانه ص٢١٩.
(٢) ينظر مسلم بن الوليد ص٥٧.
(٣) شرح ديوانه ص٥٧.
(٤) الموشح ص ٤٤٤.